(2) جوامع التربية

ما رأيت هزلاً أقرب إلى الجد، أوغَزَلاً أليق بحقائق التوثيق: أصدق فى الشعر العربى المعاصر من قول الشاعر السودانى إدريس جمّاع فيما أَقتبِسُه لوصف داعية مسلم صاعد:

يا شعلةً طافت خواطرنا حواليها وطفنا...

آنستُ فيك قداسة...

ولمست إشراقًا ... وفنًّا ...

ونظرتُ فى عينيك آفاقًا ... وأسرارًا ... ومعنى [1].

فالداعية المسلم واعد، يتلألأ وجهه بنور الإيمان والعلم، ولمعات الوعى، والانسجام مع ألوان الفن المعرفى، والقسمات الحضارية، حتى إنك لتدرك ما تصل إليه نظراته من مدى بعيد... وما تُنبئ عنه من خبر غريب، حتى لتكاد تجد فيها كل المعانى الصوافى العوالى ووصف المنهجية التامة المنبغى له ولمن يصافح ويصاحب.

ركض فانكبح ... فوازيناه فاتزن ...!

وسبب هذه الظاهرة المشرقة والحالة الصائبة التى تبدو وكأنها الاقتراب من الإتقان إذا قسناها بفوضى تلفّ السائبين: أن الداعية المعاصر يستفيد من عطاء التربية المنهجية الدعوية التى صقلتها تجارب المراحل السابقة وهذبتها ردود الفعل تجاه أخطاء ارتكبت كشفها النقد الإيجابى،وأوضحها الرجوع المتأنى إلى الفقه الشرعى والتحليل الموضوعى، وزادتها وضوحًا المعرفة بالواقع والمقارنة التاريخية، فكان من كل ذلك ما هو أشبه بعملية «النخل» و«الغربلة» بمنخل الموازين والقواعد والتجارب، فنتجت من ذلك «صفوة» مؤهلة للقيادة الناجحة والخطو الموزون والتفلت من المخاطر.

وهذه السابقة الناجحة تشير إلى أنه من الأهمية بمكان أن تتضح الخطة المرحلية وخطة

(1) عن جريدة ألوان السودانية عدد 10، 10/ 97.

المدى البعيد فى أذهان الدعاة فى أى قطر، معًا، قبل الخطو والممارسة العملية، ليكون الفهم الجامع الشامل حارسًا للمسيرة الدعوية من أن يدفعها دعاة مغامرون إلى ارتكاب شطط وتعجل وأعمال ارتجالية غير مدروسة، إذ إن شيوع المعانى الخططية المتفق عليها تؤسس حساسية بالغة لدى الدعاة ضد كل توجه مخالف لها يروج لها متهور أو متحمس يخالف القرارات والاختيارات الجماعية التى ما جاءت وما سُنّت إلا بعد شورى وحوار وتقليب لوجوه النظر والاستعانة بالكم التجريبى العظيم فى الأقطار الأخرى وعند الأجيال السابقة، وسينتصب كل داعية آنذاك رقيبًا على أعمال أصحابه وأقرانه قبل القيادة ورقابتها، وسيعظ ويكبح جماح الفائر قبل أن يرفع عقيرته، ويمنع الإغراب والشذوذ أن يمتد ويستطيل ويكون قضية، لأنه الأقرب، ويعامل أقرانه على السجية، فيعرف ما هنالك من فلتات الألسن، حيث لا يمنعها تكلف أو حياء حين يكون الخطاب مع الوجوه.

لكن الوصول إلى هذه المنزلة الصائبة من تأسيس الرقابة التلقائية الإيجابية فى القاعدة يلزمه وجود شرح للخطط، بوفاء وتفصيل وتمثيل، ونشر لفقه الدعوة، وكشف لمفاد الدراسات الميدانية، وتوصيف الواقع، ومحاولة التفرس فى المستقبل، وهذا كله واجب تربوى ريادى ثقيل ليس بالسهل، لكنه إن نفّذ: وهب بإذن الله إتقانًا، وتوحيدًا لرأى الصف، واستثارة لإبداع الدعاة الكامن، وجرأة على اقتحام الصعب، وأملاً وثقة، وموازين تمنح الانسجام والتجانس، مع الطاعة الواعية، والتعامل الرجولى الرفيع الكابت لكثير من وساوس الفتن.

ماذا نريد، وما هى قضيتنا؟ وما هى وسائلنا؟ ومَن هو صديقنا والحليف؟ ومَن هو المزاحم والعدو؟ وما هى الثوابت والمتغيرات؟ وما هو وصف المجتمع الذى نعيش فيه، وعوامل الإيجاب والسلب فى تطوره؟ ووصف الدولة والمحيط الإقليمى والسياسة العالمية: كل ذلك من الأسئلة التى يجب أن يجيب عليها هذا الفقه الذى يُكلف الرواد بصياغته وترويجه بين طبقات الدعاة.

هذا.. أو اشبع ما شئت من آراء نشاز، وأخطاء تتعاقب، واقتباس أساليب خفيفة من أحزاب علمانية فوضوية، بل يصل الأمر إلى استعمال أساليب صبيانية، من قتل شرطى،

وتحطيم محل خمور، واختطاف سائح، بتأولات ساذجة، وفقه مبتور، ويتركب خطأ على خطأ، فيوتر الوضع الدعوى مع الدولة والناس بلا مبرر.

إن بث أخلاق الإيمان فى الناس، وبناء الأساس الفكرى، وترويج العلم الشرعى، وتربية مجاميع التخصص، وتنويع العمل المؤسسى: كلها معالم خططية يعجز الشاب عن اكتشافها إن لم يلقنه مخضرم.

وذلك هو الدرس الجلى الذى تفصح عنه التطبيقات السابقة الناجحة لخطة التربية المنهجية فى طورها الأول، ولذلك نتوقع بإذن الله نتائج أقوى وأعمق تأثيرا إذا حصل تجويد لها بشرح الخطط، ومعرفة الواقع، والدراسات المستقبلية، ومزيد الاطلاع الشرعى، وتوسيع العمل التخطيطى.

والمظنون أن هذا الإتقان المنهجى التربوى يمكن أن تعين على تحققه عشرة أساليب وخطط فرعية تتكامل فيما بينها وتتعاضد لتكوين جانب مهم من الخُطة التربوية الشاملة، هو العُشر، وبقية الجوانب تبينها الفصول الأخرى تباعا.

الوجوه الخمسة المتكاملة للأداء الأسرى

* **الخطة الفرعية الأولى:** تجديد فهمنا لمعنى العمل الأسرى الدعوى وتكليفه بجوانب عريضة أساسية.

فالأداء الأسرى محور مهم فى التربية المنهجية لم يستوعبه كل الاستيعاب بعض أهل الاستعجال من الأجيال الجديدة التى أقحمتها كثافة الأحداث العامة فى تتبع الخبر السياسى والانشغال عن كثير من أمر التربية، خلافاً لأجيال الدعاة الأولى التى ساعدها الهدوء على لبث طويل مع المنهج والعبادة والتزكية النفسية، وقد أغضبنى يومًا قول داعية أخطأ فى اللفظ والوصف فذكر أنه يعتبر العمل الأسرى مقدسًا، لكنى ارتضيت المعنى الصحيح الذى أراده وقصده من وجوب الاحتفاء بهذه الوسيلة المباركة وتعليم الداعية شدة الاحترام لها والتعلق بها والحرص على اغتنام خيراتها الوفيرة، فإنها منبع الفوائد، والمثابة الآمنة التى ينطلق منها الدعاة فى التبشير والنذارة والمخالطة الاجتماعية، ثم إليها يكون الإياب، لتجديد الإيمان وترميم ما نحته التحرك.

وقد أفهمتنى الأيام والتجارب والممارسة القيادية أن الأداء الأسرى النموذجى الناجح يمكن أن يكون محورًا لخمسة أنواع من الأعمال المتميزة أو وجوه الأداء الفرعية:

* **الوجه الأول:** الوجه التربوى المحض، وتطبيق المنهج، وتلقين الفكر الإسلامى، وتعليم الداعية الثوابت والمتغيرات، وأولويات فقه الدعوة، والتوعية السياسية، وإحسان العبادة، ومصاحبة الجديد فى تلاوة وتهجد وتسبيح ودعاء، ليأنس، ومدار كل ذلك على النقيب بدرجة أولى، وعلى الأقران الذين تتوفر بوجودهم همة جماعية تحمل الجميع على المواكبة والمؤازرة واستحلاء المصاحبة، ويحتل تعليم الأعراف الدعوية والمفاد التجريبى شطرًا مهمًّا فى كل هذا، هو فى الحقيقة أكبر من المقدار المدون فى المنهج، وبسبب ذلك نرى حصول انقلاب جذرى فى نمط حياة الشاب خلال شهور قليلة فقط، ويتميز عمن هم حوله من أشقائه وجيرانه وأقاربه، ويكون أقرب إلى الحكمة والوقار، وقد حدثنى أحمد الشيخى قال: كنت حافظًا للقرآن منذ أول شبابى ومُعلمًا له وأحافظ على الصلاة، ولكن بعد مصاحبتى للدعاة بثلاثة أشهر قالت لى أمى: يا أحمد، هنالك سِرٌّ لا أدريه، لست أحمد الأول، فماذا جرى لك، ومَن أنت الآن؟ لما رأت من هديه وسمته الجديد، وذلك لأننا نعلم الشاب فى الأسرة ليس الفكر والحلال والحرام فقط، بل حتى الأذواق الرفيعة، وكيف يجلس وكيف يتكلم وكيف يتصرف فى كل شأنه، فأحمد ما كان عاصيًا، بل يفوق كثيرًا من الدعاة بحفظ القرآن، إلا أن اللمسة الدعوية فعلت ما فعلت، وغيّرت شخصيته جذريًّا، حتى أثار حاله الجديد استغراب أمه!! وهذا هو سبب ما أقوله ويقوله كل قيادى من أن صياغة النقيب أهم من تسمية مفردات المنهج، لأننا إذا وجدنا نقيبًا واعيًا مدركًا لأبعاد مهمته فإنه يبادر آنذاك إلى طبع الدعاة الذين معه بالطابع الدعوى فى كل تفاصيله ولو لم يحط بها المنهج، ولذلك تتفاوت مقادير نجاح الأسر فى الأداء، فبعض النقباء أنجح من بعض وأمهر، تبعًا لمقدار علمهم وإتقانهم لفنون التربية من بعد الإيمان والصفات النفسية، وليس القديم من الدعاة بأقل احتياجًا إلى قدوة تلهمه أحواله التأسى ودوام التذكر والانتباه والبقاء على وتيرة عالية من ركوب العزائم وتحمل الشدائد، وأقل أحواله أنه بحاجة إلى قرين يزيد عنه وحشة الطريق الصعب ويجد فى التناجى معه سلوة وتصديقًا وتثبيتًا، ولذلك لم تُجعل الأسرة عملاً مرحليًّا ينتهى، وإنما هى محضن دائم يوفر التكافل المعنوى والمادى معًا، يوصف للمخضرم أيضًا لا

المبتدئ فقط، والفرق عندى أن الجديد بحاجة إلى مجلس أسرى أسبوعى، يتواصل لثلاث أو أربع سنوات، ثم يكون أسبوعين للمتوسط، وكل شهر للمخضرم، حتى لو كان قياديًّا، وإنما يكون هذا التناقص من أجل توفير الأوقات والطاقات لأنواع أخرى من الأداء الدعوى الإدارى والمؤسسى والإعلامى والعلمى والسياسى، وليس زهدًا بالتربية، ويسوّغ هذا التناقص أن التعويل فى التربية الأسرية ليس على مقدار ما يكون تداوله داخل اللقاء من علم أو خبر أو محاسبة، فذلك هو الشطر الأضعف، وإنما على انعكاسات الارتباط المعنوى والإيحاءات الإيجابية الكثيرة فى نفس الملتزم، وجعله مشدودًا تلقائيًّا إلى جملة الالتزامات التى تم الاتفاق عليها، والمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، وفى ذلك ما يديم الدأب والتحفز ويقظة الضمير والحواس ودفع الداعية أكثر فى الطريق العملى، وهى أحوال يعرفها من ذاقها فقط، ولا يتصور كيفيتها سائب أو ساذج مهما كان مخلصًا راغبًا فى الجد، ولذلك أزعم أن اللقاء بالنسبة للمخضرم يمكن أن يؤدى نتيجته حتى ولو كان شهريًّا فقط.

* **الوجه الثانى:** الاحتساب الذى يقوم به النقيب بالتعاون مع بقية الأعضاء تجاه كل عضو يخالف واجبًا إيمانيًّا أو خلقًا من أخلاق المروءة أو حكمًا شرعيًّا أو دلالة مصلحية عامة، فكما أن أمثال ذلك من وجوه الحِسبة تكون فى المجتمع الكبير، فإن نوعًا من الحِسبة الجزئية تتم ممارستها فى المجتمع الأسرى الصغير، بل مداها أوسع ويشمل كافة الآداب والذوقيات، ويبدأ الأمر بنهى الداعية عن تهاون فى الإحسان لوالديه، أو تقصير فى حق الزوجة، مرورًا بنهيه عن تكاسل فى استعداده الدراسى أو المهنى، وأمره باغتنام الفرص لتطوير نفسه مهنيًّا ومعاشيًّا، وينتهى الأمر إلى فحص صغائر فى حياته، من المبالغة فى النظافة، وترتيب يومياته، وتعليمه طرائق التعامل المهذبة وخفض الجناح والرفق ولمسات الحنان، والتعفف عن الفوضوية، أو إزعاج أحد، والتعلق بالرمزيات والمثاليات والقيم الرفيعة التى هجرها الناس، وقائمة لا تحصى من أخلاق الإيثار والتعاون وخدمة المجتمع والتزام النظام واحترام حقوق الآخرين والنجدات الخيرية، وشيم الفرسان والأحرار، ويصل الأمر حتى إلى إجباره على مراعاة وصايا الأطباء فى الفحص الطبى، واختيار الطعام المفيد الأقل فى الدهون والسكريات، بل وإلى تفضيل الدواء الطبيعى المستخرج من الأعشاب على الدواء الكيماوى ما أمكن، وتحريم الدخان، وهجر المشروبات الغازية والشاى والقهوة ربما واستبدالها بعصير

الفاكهة، فى أشياء أخرى تجعل الداعية خَلْقًا آخر ليس له مثيل بين الناس، وكل ذلك إنما يؤخذ من خلال المعايشة والتناصح لا من خلال الكتابة والخطابة، وليس غير النقيب يؤهل لذلك.

* **الوجه الثالث:** إنجاز جزء من المهمة التبشيرية، بتدريب الداعية على فحص وجرد المجتمع الذى يحيط به، مثل الأقارب والأصدقاء والجيران وزملاء الدراسة والوظيفة، وانتقاء أسماء منهم يوصى بالاتصال الفردى بهم، وتعريفهم بفكر الدعوة وأخبارها ونواياها، سائلاً المناصرة والتأييد، مشجعًا على التزام الصلاة والواجبات الشرعية، ثم لكل استجابة جزئية ما يتلوها، حتى يستوى بعضهم فى عداد المؤهلين للتمتع بالتربية الدعوية فى سُلمها التدرجى من بعد التمهيدات والمقدمات.

والحقيقة أن المهمة التبشيرية عمل جماعى وفردى معًا، وكافة أنواع العمل الإعلامى والسياسى والوعظى والفكرى يؤيد بعضها بعضًا لتكوين تيار تبشيرى مؤثر عام يستفيد منه الداعية بالتخصيص، تخصيص الدلالة أو الناس الذين يُرشحون للتعاون والمساهمة فى حمل المهمة الدعوية، وكيفية جريان هذه العملية قد تحدثت عنها فى الفصل الأخير، وبيّنت أثر وجود الزعامات الظاهرة فى ذلك، وتولد تيار من العمل يحمل حتى الداعية الضعيف على أداء دور فى التجميع، وقلت بأن «الجديد ما بين انتباهته من رقدة الغافلين حتى استوائه ضمن الصف يكون قد تعرّض ربما لألف دفعة تأثيرية قيادية بدرت من مائة داعية قيادى فى بلده، من بين سياسى وأديب وفقيه ومؤرخ وفنان وإعلامى، يتصدرهم القائد الأول بهيبته وسمعته وحسن سمته ودَله وهديه. والقابع منهم فى زنزانة ليس بأقل تأثيرًا وتحفيزًا، عبر قيام قصته كدليل عملى على البذل والثبات»، وذكرت الكثير غير هذا من خطوات العملية فى أكثر من مقال، ولكن دور الداعية الفرد يبقى أساسيًّا فى استثمار هذه المعطيات وتخصيص وقوع تأثيرها على أحد ينتقيه، ثم من ورائه النقيب يراقب ويشير عبر موازين هندسة السيطرة التبشيرية والتربوية.

* **الوجه الرابع:** المشاركة فى بذل جهد فى تنفيذ مقدار معين من الخطة الدعوية العامة بالتنسيق مع مجموعات الأسر الأخرى، بمعنى أن الأسرة ليست وحدة تربوية فقط، بل

وحدة تنفيذية أيضًا، والواجبات المتفرعة عن التوجيهات الخططية كثيرة التنوع قد تبلغ المائة، فمن الأعمال الصغيرة: توزيع بيان، أو تعليق لافتة، أو حراسة حفل، أو خدمة ضيف دعوى، أو نقل شيء. ومن الأعمال المتوسطة: التظاهر السياسى، وأعمال الاحتجاج، والتصويت الانتخابى، والقيام بدور المفتاح الانتخابى بجلب أصوات آخرين، سواء فى انتخابات البرلمان أو النقابات والجمعيات والنوادى التى نريد أن نتصدرها، وكذا جمع التبرعات فى بعض الأحوال، والأعمال الإغاثية الدائمة أو الطارئة، وإلقاء دروس ومحاضرات، وكتابة مقالات فى الصحافة وتعليقات وردود، ودخول لجان لبناء مسجد أو مدرسة، والتعليم التطوعى فى مدارس محو الأمية أو دورات تقوية للطلاب، أو الإمامة فى مسجد احتسابًا. ومن الأعمال الكبيرة: الترشيح فى الانتخابات، وتأليف كتب، والجهاد فى سبيل الله وبذل الروح. وهذه إنما نسوقها كلها كأمثلة، وليس هنا محل شرح الخطة، ولا ذلك غرض هذا الكتاب، وإنما أردنا تأكيد معنى أن تنفيذ هذه الأعمال ينطلق أساسًا من العمل الأسرى أو يكون العمل الأسرى طرفًا مشاركًا فيه وفى التنسيق له بوجه من الوجوه.

* **الوجه الخامس:** جعل الأسرة محضنًا أوليًّا لنمو بذور التخصصات التى تحتاجها الدعوة، فإن العمل الدعوى الناجح الذي يوازى المقاييس العصرية والتطور الحضارى يلزمه الانتقال من العفوية والارتجال والصيحات البدوية والتعليمات الغامضة والمسارعات العاطفية إلى أداء متقن قياسى عبر تمكين أهل التخصص فى كل فن، وكل قطر يحتاج إلى وجود عشرات فى كل حقل، ونحتاج مائة سياسى قدير ممارس يصلح أحدهم أن يكون رجل دولة، ومائة رجل أعمال متمرس، وخمسين إعلاميًّا، ومائة تربوى، وعشرة شعراء، وعشرة قصاص، وعشرة مؤرخين فى التاريخ الإسلامى، ومثلهم فى التاريخ السياسى الحديث والمعاصر، ومائة أستاذ جامعى فى حقول الشريعة والقانون والفلسفة والأدب والنقد الأدبى وعلم الاجتماع والاقتصاد واقتصاد النفط والإدارة والتخطيط والجغرافية السياسية واستشراف المستقبل وعلم النفس، وأمثالهم فى العلوم التطبيقية وفروع الفيزياء والكيمياء وأنواع الهندسة، ويلاحظ فى كل ذلك:

* وجوب حيازة الدكتوراه، وهى هوية لاحتلال المراكز المتقدمة.
* وتكثيف الخبرة والتجرد للفن الذى يتم التخصص فيه، وتطبيق منهج تطوير.

* والعمل مع الأقران كفريق عبر مؤسسات ومراكز حكومية أو دعوية أو شركات.

* والإعلان عن النفس وإشعار الناس بوجودهم وبآرائهم عبر تأليف الكتب والكتابة فى الصحف والظهور فى التليفزيون وحضور المؤتمرات.

لذلك، ولصعوبة هذه الشروط والمستويات فإن صناعة «داعية متخصص خبير» واحد يلزمه تقدم خمس دعاة ربما لينجح فى النهاية واحد، ولذلك يلزم التبكير فى توجيه أصحاب الذكاء والقابليات الفطرية الذين تساعدهم ظروفهم العائلية على ذلك، إذ الرحلة طويلة ولابد من استثمار الفرص التى تتاح، وهذا يمكن أن يكون عبر جعل الأسرة محضنًا لرعاية التخصصات كل حسب هواه ورغبته، بأن يكتشف النقيب معدن كل داعية معه فيوجهه إلى اختيار الحقل التخصصى المناسب، ثم يجعله يطالع فى ذلك ما استطاع من دون إهمال لواجبه الجامعى أو المهنى، ويعلمه كيفية تجميع أرشيف خاص به يستله من الصحف، ويجلب له متخصصًا يزوره يومًا للتشجيع والحث وغرس تأثير اقتدائى به، ويجعله يختار بحثًا ضمن تخصصه يلقيه بعد إنجازه كمحاضرة على أقرانه أو يبعثه للنشر فى صحيفة، ثم يتيح له اللقاء بأمثاله فى نفس التخصص عبر دورة تطويرية، وهكذا بالتدريج ينمو التخصص ونحوز من يسير فى مدارج الخبرة، وتفصيل الدروب التخصصية لها مقام آخر، إنما أردت التنبيه على كيفية قدح زناد البداية، وأن الأسرة هى البيئة التنموية الأولى، حتى بعض العمال: يمكنهم أن يختصوا بدراسة العلم الشرعى مثلاً ليمارسوا إرشاد أهل الأرياف والبوادى، أو أن يكونوا شعراء شعبيين باللغة العامة، أو رواة للشعر الشعبى، أو فنانين تشكيليين، أو أبطالاً رياضيين، أو إغاثيين خبراء فى العمل الخيرى.

نربى السائب من حيث لا يشعر ... ونظل نرعى من خَتَم

* **الخطة الفرعية الثانية:** أن تكون مهمتنا التربوية أوسع من المنهج التربوى الداخلى، وعليها أن تسعى إلى إحداث تأثير قبلى وبَعدى.

وهذا أمر لم يتضح عند كثيرين، ويظنون أن التربية الدعوية إنما هى عملية محدودة محصورة بحفظ آيات وأحاديث ومدارسة كتب قيام ليل وزيارة قبور للاتعاظ، وهذا وهم، والصواب أن جميع أنواع الأعمال الدعوية لها مردود تربوى وانعكاس فى نفوس الدعاة والمؤيدين

وعموم الناس، فالإعلام عمل تربوى أيضًا، يرتفع بالمعنويات، ويعلم الدعاة تحليل الأحداث، ويزودهم بحجج، ويمنحهم منطقًا قويًّا فى التخطئة والتصويب، ويسهل مهمتهم التبشرية كثيرا. كما أن الموقف السياسى الصلب من قيادة الدعوة يربى على روح التحدى والاستعلاء الإيمانى، والممارسة السياسية اليومية لساسة الدعوة تربى الدعاة على إتقان الحذر والتفلّت من الضيق واللباقة فى الحديث واغتنام الفرص. ووجود العمل الخيرى المؤسسى يربى على الإقدام والبذل والاستشهاد، لما يعلمه من خلافة الأخيار له فى أهله وولده ورفعهم عن حد الفقر وكفالتهم إن غيّبه ظلم، والأثر التربوى للعلم والكتب أوضح، والممارسة التجارية تقوى الشخصية، تسرى عدوى هذه القوة الى غير التاجر عبر الحياة الجماعية، وبرهنت فى فصل لاحق على أن التربية الجهادية تحصل عبر إيحاءات الصناعة بأكثر مما يأتى منها عن طريق المؤثرات الحماسية، ثم هل التربية أبعد من اتعاظ بحدث قديم يرويه مؤرخ، ورمز عاطفى يترنم به شاعر، واجتهاد جديد يزعمه فقيه؟

من هنا فإن جميع الأعمال الدعوية يمكنها أن تُحدِث تأثيرًا قَبْليًّا فى نفوس أنصار الدعوة والمبتدئين، بل فى أناس لا نعرفهم يعيشون فى زوايا المجتمع الكبير، يبلغهم خبرنا أو يقرءون صحافتنا وكتبنا، ويشاهدون وقارنا وعفافنا، وكل ذلك يربيهم ويختصر لنا الطريق التربوى معهم إذا التحقوا بنا، ومعنى ذلك أن التربية الدعوية لا تبدأ من الفرد من يوم جلوسه فى مجالسنا، بل قبل ذلك بكثير، وكلما زاد إعلان الدعوة عن نفسها، وأظهرت زعماءها وعلماءها، وتفنّنت فى طرائقها، وتنوعت خُططها: زاد هذا التأثير التمهيدى التربوى موضوعيًا، وانتشرت أفقيًّا بصورة أعرض، وفى هذا ما يعيدنا إلى ذكر ضرورة توزيع الأشرطة المنتقاة، والرسائل المستلة من الصحف، ونشر الكتاب الإسلامى الشعبى الرخيص، مع تكثيف الخطب والمواعظ والمحاضرات والاحتفالات وإظهار قدوات يستقطبون العامة ويستثمرون آثار الإعلام والأعمال الفكرية التى تواكب كل ذلك.

والمفروض أن تكون هناك تربية بَعدية أيضًا للدعاة الذين يكملون دراسة المنهج وأمضوا عدة سنوات خاضعين للتربية الأسرية المكثفة، فإن أمثال هؤلاء عادة ما يتوزعون على اللجان والمراكز وإدارة المؤسسات وتلبية حاجات الأداء الإعلامى والسياسى، وقد تنحت صرامة الإداريات ويبوسة الممارسات السياسية من مخزونهم العاطفى الإيمانى، أو تكون مهنهم

مرهقة، مثل التجار والأطباء، لا تدع لهم مجالاً كثيرًا لحضور الأنشطة أو مجالس العلماء فى المساجد أو كثافة المطالعة، فهؤلاء وهؤلاء ينبغى أن تعينهم جهودنا التربوية على مواصلة الزخم الذى حازوه فى سنوات دراسة المنهج، وأن نلاحقهم وهم فى أماكن عملهم بنشرات خاصة تحيطهم علمًا بما لا يمكن أن تقوله صحيفة الدعوة العلنية، وبيوم فى الشهر يلبثون فيه النهار والليل فى مسجد للتعبد والتلاوة على طريقة جماعة التبليغ، ربما، وبقدوات يزورونهم، وبموقع إنترنت خاص بكل ثلة منهم غير الموقع الدعوى العام، ربما، وأقل ذلك إرسال أشياء بالفاكس لهم والاتصال الهاتفى، وبابتكارات إبداعية أخرى، مع ملاحظة أن وجود أنواع العمل الإعلامى والسياسى قد تغنى عن أكثر ذلك، لوجود جزئيات كثيرة عندئذ تقوم بتذكير الغائب فى مهنته أو المنغمس فى إدارته وتنتصب له منها مواعظ وعوامل ربط معنوى، وسيحمله التيار الدعوى العام حتى ولو لم نوجه له جهدًا تربويًّا خاصًّا، وهذا ما يعظنا بعدم المبالغة فى تخيّل ضعف فى الدعاة، إذ الولاء الإسلامى الذى يبدونه دليل عمران القلب بمعانى الإيمان حتى ولو لم يتهجدوا أو يكثروا تلاوة القرآن، إلا أن تقوم قرينة على حصول ضعف أخلاقى وإيمانى، من جنوح لألفاظ غليظة أو استرسال فى الدنيويات أو بخل بمال إذ هو ميسور أو تكبّر وغرور ظاهر، وليس هذا من باب التزهيد بسنن الإيمان والعبادة، بل نرى أن الاحتياط أولى، وإنما أردنا نفى صواب من يُطلق القول بالتضعيف لكل متغيب، فقد تكون قلوب بعض الغائبين وافرة العمران بمعانى الإيمان ومحركات الولاء الواعى، ولا نقطع واديًا إلا كانوا معنا، حبسهم التأول المستساغ.

مع القوم سواء ..... ثم نزيد

* **الخطة الجزئية الثالثة:** تكملة المنهج العام بمناهج خاصة، حسب حاجة القطر، لتفهيم بعض القضايا المحلية، أو حسب حاجة بعض الدعاة.

فقد كان المنهج العالمى العام آخذًا بالمرونة ومال إلى رؤية الخصوصيات، فمنح الأقطار حق إضافة مواد أخرى تستدعيها قضاياها المحلية، أو ظروفها، أو ما هو قريب من ذلك.

فهل حققت الأقطار ذلك؟

مدى علمى أن هذا الحق لم يُستعمل إلا قليلاً.

فمن الحاجات القطرية الخاصة بالعراق مثلاً: دراسة القضية الكردية بشيء من التفصيل وفق نظرة إسلامية؛ لأنها قضية مؤثرة حية، وينبغى أن يشمل ذلك مناهج إيران وتركيا، وسوريا بدرجة أقل، لوجود القضية الكردية فيها أيضًا. ويسرى نفس الميزان على القضية البربرية فى الجزائر والمغرب.

وقضية الاعتزال وتأثر الفكر الإباضى والزيدى به، فى عُمان وليبيا والجزائر.

وتفاصيل فى القضية الفلسطينية بالنسبة للداعية الفلسطينى تذهب به إلى أبعد من المقدار الموجز الذى يورده المنهج العالمى.

وحبذا لو يوضع كتاب منهجى يقرر تدريسه فى أمريكا وأوربا واستراليا والبيئات المماثلة حول فقه الأقليات والضرورات المؤثرة فى أحكام الحلال والحرام، وكيفية التعامل مع النصارى، والمشاكل العائلية للمهاجر، وأمثال ذلك، ويؤخذ من مجموع ما أفتى به وسيفتى المجلس الأوربى للإفتاء، وملاحظات كثيرة وردت فى مجلة «الأوربية» و «الغرباء» من قبل، ومجلات إسلامية أمريكية، والمجلات الصادرة باللغة الإنجليزية أيضًا، مع مشافهة قدماء المهاجرين ورواية تجاربهم، وكذا كلمات المؤتمرات العامة والندوات التخصصية، وما أكثر ذلك، ولكن العلم يُقال وينساه الدعاة فى زحمة الأحداث، والحل: أن ينتدب أحد نفسه لجمع ذلك كله بإيجاز فى كتاب منهجى ومقرر دراسى.

كذلك أرى أن يسارع كل قطر لتأليف كتاب منهجى يقرر تدريسه فى الأسر فى ذلك القطر، فيه تعريف بالأحزاب والجمعيات القائمة فيه، وموجز التاريخ السياسى والاجتماعى، مع لمحة اقتصادية، واستشراف للمستقبل، وسينفع نفس الكتاب فى أن يكون ضمن منهج القياديين فى أقطار العالم أجمع. ومثله كتاب آخر فى تاريخ الجماعة فى القطر.

ونفس الميزان يسرى من ناحية موضوعية، فالدعاة المهندسون يليق أن تعقد لهم دورة خاصة عن نقل التكنولوجيا، والتكامل الصناعى فى العالم الإسلامى،والإبداع العلمى، مثلاً. ومجموعة الإعلاميين تكون لهم دورة إعلامية واستعراض للنقاط الساخنة وكشف ما وراء الظاهر، ويتم تبادل الخبراء بين الأقطار من أجل رفع مستوى القول فى هذه الندوات والدورات.

وتبقى الحاجات المحلية أو الموضوعية أوسع من أن نسميها أو نحصرها، وإنما أردنا التنبيه إلى أن المنهج العالمى أعطى حق الإضافة والتكميل، ولكن الأقطار قصّرت.

من تحت دارى..... تنبع أنهارى

* **الخطة الفرعية الرابعة:** الانطلاق من مراكز بحث ومؤسسات دعوية ما استطعنا.

ولست أستنبط هذا من فقه العمل المؤسسى، فلذلك بحوث إدارية تولاها غيرى بالشرح، وذكرت أطرافًا من هذا الفقه فى فصول أخرى وكتب أخرى، ولكنى هنا أشير إلى ما يكمن فى العمل المؤسسى ذاته من إيحاء تربوى خاص أراه ينبثق من فطرة الإنسان فى التملك وحيازة الأشياء وجعلها خاصة به، وفطرة الركون إلى مأوى وبيت يُظله ويشعر فيه بالحرية التامة والخصوصية والحرص على تنميته وعمرانه وتجميله وتوفير وسائل الراحة فيه وإعداده ليكون حصنًا يدفع عنه كل خطر محتمل أثناء الحروب والنكبات، حتى ليخزن فيه كمية من الطعام من باب الاحتياط، ثم فكرة الانطلاق من مثابة والعودة إليها فى كل أعماله، يضع فيها ما يحتاجه، ويجتمع فيها بالقرين والمماثل، ومع أناس يفهمون أحاسيسه وأفكاره ويحركهم نفس الشعور ويجمعهم هدف مشترك وتسود بينهم ثقة متبادلة، فكل هذا الإحساس الفكرى المتنوع يجعل الداعية إذا انطلق من «مؤسسة دعوية»: منحازًا لها، مدافعًا عنها، مفتخرًا بها، مرتادًا أنواع المصالح لتطويرها وتوسيعها وتجويد أدائها، حريصًا على سمعتها، لأنه شريك فى ملكيتها، وهو من أهل البيت، ليس بغريب ولا طارئ ولا زائر ولا وكيل.

ومركز البحوث هو الشكل المثالى لهذه المؤسسة، والمفروض أن نزوده بمكتبة جيدة، ونصور على دسك أرشيف المراكز الأخرى، وهى خدمة أتاحها الكمبيوتر تمنحنا فرصة الاستفادة من عمل جاهز دون أن نكرر الجهد، ثم نجعل فى المراكز عناصر متميزة، فيتشكل من كل ذلك عامل إغراء لجذب دعاة كثيرين كباحثين، فيعمر جانب الوعى السياسى والفكرى فى الجماعة، ويكون نوع من التشغيل الجيد للطاقات المعطلة والتفعيل لأدوار أصحاب القابليات، وربما يحصل إبداع متميز من عناصر مغمورة، وكل ذلك لوجود استثمار لفطرة التملك والمثابة التى شرحناها، ولقيام «استدراج» للدعاة إلى مفاصل البذل النظامى المنهجى يرتكز على الآثار التربوية الطبيعية للجوانب الفطرية، وكثير من الدعاة لا تحركهم

ذاتية خاصة بهم، لكن يحركهم التيار العام، ويأنسون للغير إذا رافقهم، ويستوحشون عند الانفراد، وتجاربنا فى هذا الباب كثيرة.

لكن سعة العمل الدعوى وكثرة الدعاة توجب التوسع فى إنشاء هذه المؤسسات وجعلها مثابات انطلاق وأوبة، وهذا يحصل بالتنويع ، حتى ولو انثلم بعض الوصف المؤسسى فى بعضها، فالصحيفة الدعوية «مؤسسة»، والمدرسة الإسلامية «مؤسسة»، وكذا دور النشر، والجمعيات الشرعية، والنوادى الأدبية، والمجامع العلمية والتاريخية، والروابط التخصصية، وحتى الشركات التجارية أحياناً، فيكون من كل ذلك قرابة مائة مؤسسة دعوية، فى الواحدة منها العشرة من الدعاة، والعشرين، إلى الخمسين والستين ربما، وبذلك نقضى على الوساوس والبطالة والتسيب والفردية والفوضوية، ويتكامل سير موزون مخطط، وقد أعجبنى جدًّا قول قائد الدعوة فى إندونيسيا فى مثل هذا الموطن حين قال: وإذا لم نجد مركزًا أو جمعية أو مدرسة لنحقق مثل هذه التحريكات: أعنَّا الداعية على افتتاح دكان له أو مكتبة صغيرة؛ لنعلمه مخالطة الناس ونيسر له الاتصال بهم. وهو قول صحيح يدل على وعى، ونسى أن يضيف ما ذكرناه من استثمار فرصة التملك ومغزى المثابة، وهى معطيات تعدل آثار المنهج الأسرى فى القيمة.

عطاء الشمول ... ومِنَح الأصول

* **الخطة الفرعية الخامسة:** تحصيل الآثار التربوية الحسنة التى ينتجها «الشمول التخطيطى».

فبعض الدعاة يقيمون حاجزًا وهميًّا بين مفردات الخطة العامة والخطة التربوية، وكأن أشكال الأعمال التى لا تسمى باسم التربية ليس لها مردود تربوى، وكأنها أعمال ميكانيكية صلبة خالية من الروح والعاطفة وتحريك الأحاسيس، وهذا تصور تشير تجاربنا إلى أنه خطأ محض، وتحليل «الحركة اليومية الدعوية» يدل على وجود تأثيرات نفسية إيجابية عديدة الأنواع تنتجها أنواع النشاط المؤسسى والمساهمات الفكرية والسياسية والخيرية والتجارية، وتدعنا نؤمن بأن «صياغة وصناعة داعية واحد» هى عملية متشعبة تؤثر فيها جميع مفردات الخطة وتفاصيلها، وليست هى نتيجة تطبيق المنهج الأسرى فقط، ويليق أن نستعرض أمثلة منها:

* فنشر كتاب إسلامى جديد خارج القطر ننجح فى استيراده أو إعادة طبعه وتوزيعه بكثافة يرفع مستوى الفكر فى ثلة واسعة من دعاة القطر، وارتفاع المستوى الفكرى إنجاز تربوى بلا شك.

* وأعظم أثرًا منه أن ينشر داعية من أهل القطر نفسه كتابًا إسلاميًّا، جريًا مع شعور الفطرة الذى شرحناه والإحساس بالفخر نتيجة القربى.

* وللشريط المسموع والمنور فوائد مثيلة، وقد أطنبنا فى شرح ذلك آنفا، وإذا كان المتكلم من أهل البلد كان التأثير أكبر.

* والصحف المستوردة أو المحلية تزيد الوعى وتعلم التحليل.

* والنجاح فى حيازة عدد أكبر من الكمبيوترات فى المحيط الدعوى يعنى نيل فوائد الإنترنت، والاطلاع على الصحف العالمية فى نفس اليوم، والارتقاء بمستوى الفطنة لدى الدعاة الذين يستعملونه ومن هو قريب منهم، وجميع ذلك مردود تربوى.

* وحيازة القياديين لسيارات يعنى زيادة تنقلهم ومواجهتهم لعموم الدعاة وأنصار الدعوة، ويكون لذلك مردود تربوى آخر.

* وإنشاء مدرسة إسلامية يعنى التبكير فى غرس الموازين الإسلامية فى نفوس الجيل الجديد واختصار الجهد التربوى الخاص.

* ولكل مؤسسة نوع من الأثر الحميد.

ويمكنك اشتقاق أمثلة أخرى.

* وهذا يوجب إتقان الخطة العامة وجعلها شاملة، مع تمدين الأداء وإدخال المخترعات العصرية إلى المجتمع التربوى، فإن أحد وجوه الانتفاع من ذلك: الارتفاع بالمستوى التربوى للدعاة وأنصارهم وذُرياتهم، وليس هذا كتاب تخطيط عام حتى نصف معنى الشمول ونسمى جميع المفردات الخططية، وإنما أردنا الإشارة إلى أن التربية الدعوية هى أوسع من التكاليف التى نضعها على عاتق اللجان التربوية ونسميها بمنهج وتطوير ودورة وموعظة، وإنما الأداء الدعوى كله يصبّ فى وادى التربية الدعوية، حتى العمل الخيرى؛ فإن فى بعضه: تزويج الشباب وإعفافهم، والزواج رُشد وإنجاز تربوى. وحتى العمل التجارى؛ فإن الغنى

يجعل الداعية الباذل لروحه موقنًا أن هناك من سيخلفه فى أهله وبنيه، وذلك إنجاز تربوى.

* وجمعًا لهذه الإشارات وأمثالها من أقطارها ومكامنها: أستطيع أن أرفع عشرة شعارات تصلح أن تكون عناوين لمعنى التربية الدعوية، يجمع الواحد منها بين نقيضين فى الظاهر وعند المستعجل ، ولكنهما يؤديان إلى تكامل بينهما ووسطية ، بريئة من التناقض والتعاكس والتضاد.

فتربيتنا الدعوية تجانس بين عشرة وعشرة:

* بين الرباطية المستكِنّة.... والنزعة السياحية المتجولة.

فنحن نأخذ بالتربية التلقينية عبر اللبث فى المسجد أو البقاء فى «مكان» التربية، من مدرسة أو مؤسسة، ونغرس فى قلب الداعية المتتلمذ حب الاعتكاف سويعات كل يوم بين ساريتين أو غير بعيد عن المحراب، يتلو القرآن، ويقرأ الحديث والفقه، ويدعو، ويتفكر، حتى يتقن صنعة التضرع والتوبة والزهد، ولكننا فى الوقت نفسه نعلمه أن ذلك إنما هو بعض الحق ومجرد جزء من التربية، ونصاحبه فى جولات وغزوات ندعه يسيح خلالها فى زوايا المجتمع، ليتعرف على الأخبار، ويحبب نفسه لأقران له، ويسأل فقيها أن يروى له حكمًا، ومجربًا أن يخبره بقصة، ثم ندعه يزور معرضًا، ويشارك فى مهرجات، ويرحل إلى نقطة ساخنة يجمع فى محيطها شظايا يرتبها فتفصح عن الخبر اليقين.

* وبين الجذب والاستدراج إلى المحاضن التربوية... ومتابعة الداعية داخل منزله إلى حين وضع رأسه على وسادته.

ففى تربيتنا إغراء وتشجيع، بمكتبة وأرشيف، وتدريب على كمبيوتر، وألعاب جماعية وتوفير أجهزة ومحيط نظيف يأنس فى أرجائه الصاعد، ولكن نحن معه فى بيته أيضًا، عن طريق تربية أخته أو زوجه أو بنته، وبمنهج مطالعة، وجدول محاسبة يسأل فيه نفسه عما سلف منه فى كل يوم قبل أن ينام إن كان ازداد خيرًا أم استوى يوماه.

* وبين العمومية للنموذج العادى.. والخصوصية للعنصر المتميز ولصاحب الظرف الخاص.

فالمنهج العالمى كفيل بتوفير حد أدنى من التربية تطبع الداعية بالطابع الخاص وختم

«الماركة المسجلة» التى لا تقبل التزوير والتقليد، فترى تايلنديًّا هو نسخة طبق الأصل من صعيدى، وكرديًّا كأنه شقيق متحمس فى الكاميرون أو نيجيريا، ولكن وراء ذلك دورات ومناهج تطوير لثلة الواعدين، وتنسيق لدراسات التخصص.

* وبين المبادأة وإحداث المعانى... والاستدراك والترميم.

فالتربية الدعوية إنشاء أهداف غفل عنها اللاهون، وإكساب كل مستجيب جملة معان يحتاجها كان عاريًا عنها، وإتحاف جيل الصحوة بخلاصات تجارب المخضرمين قبلهم، الذين طالت معاناتهم حين جبههم تكذيب وسُلبت منهم حقوق، ولذلك تتحقق عبر اللمسة الدعوية الأولى صعقة للجديد، تنقله نقلة، وتمنحه دفعة، ويستغرب أن كان من قبل غافلاً، فينتفض، وذلك بعض سر لذة البداية التى تحدث عنها الشيوخ، وتصعيد هذه الهزة القلبية العقلية فن مهم من فنون التربية الدعوية يجعل القليل كثيرًا، والبطىء سريعا، والرخو صلبا، وكأنه فى ذلك يستعير من البركة سرّا فيؤذن له، ولكن إرادة الخير لا يطّرد سيرها، لمعاكسة الشيطان، ولربما زلّ فاضلٌ وتراجع متوغلٌ، فيكون الترميم ومعاودة البناء، من غير ضجر أو استغراب، فإن كل حرب سجال. **ومن معنى الاستدراك أيضًا:** أن يلحق بالدعوة عالم، أو ربيب دعوة أخرى، فلا نحتاج أن نبدأ معه بداية من الرحلة التربوية، وإنما من حيث انتهى، ونعتمد رصيده السابق، وينحصر واجب تربيتنا فى تكميل النقص، أو تبيين منطق وفقه أعمال درج عليها تقليدًا من غير تأمل وفحص.

* وبين المحلية... وتجاوز البحار والحدود.

فتربيتنا تستثمر المعطيات المحلية والطاقات المتوفرة، لكنها تُعان بمُربين ورواة خِبرة يأتون من أقصى الأرض ربما، لوحدة الخلفية والمنشأ والفكر، من دون أن يحصل تباين. كما أن التجربة الدعوية لا جنسية لها ولا وطن، فكل التراث التجريبى الدعوى فى أى قطر يصلح أن يكون شاهدًا للأقطار الأخرى، ما لم تصرفه مقتضيات ميزان النسبية.

* وبين روابط الكتل الإقليمية وقواسمها المشتركة... والعالمية ذات الأفق البعيد.

فالآثار الجغرافية، والتوزعات القومية، والعوامل الاقتصادية: ربما تجعل الأداء الدعوى متقاربًا فى بعض الأقطار، فيجنح التخطيط إلى توحيدها وتميزها، فأقطار الخليج قد تضمها

وحدة خليجية دعوية، والشمال الإفريقى، وجنوب شرق آسيا، والقرن الإفريقى، وجمهوريات آسيا الوسطى، كلها تخضع لهذا الميزان، وينعكس ذلك على التربية وأساليبها ومناهجها، وعلى المؤسسات، لكن هذا الإجراء لا يلغى الانتماء إلى «الدعوة العالمية» والشعور بالوحدة الجامعة والأخوة والقلب المشترك، ثم لا يثلم ذلك ما يفترض من ولاء حاسم للمركز الإرشادى والرمز وتكثيف الانتماء فى بؤرة تعيد النشر والإشعاع.

* وبين الصلابة الصلدة... والمرونة وقابلية الانثناء وإعمال الاستثناء.

فعندنا فى شرعنا وفقه دعوتنا ثوابت، تتمسك بها تربيتنا وتأخذها بقوة، ولا مجال لاجتهادٍ يغيرها، لكن عندنا أساليب تلائم كل ظرف، وتخطيط يتكيف، ومرحليات تختار بنسبية تنسجم مع الواقع والمؤثرات، وفى إفتائنا سد ذريعة وموازنات بين المصالح.

* وبين التقليد والعرفية والوراثة.... والاجتهادية والتجديد.

فتربيتنا توجب الأمانة، واقتفاء أثر الجيل المؤسس، والحفاظ على رؤاهم وتفسيرهم لمعنى الدعوة، ودارنا كمثل بيت بناه عصامى، وترعرع فيها ولده، ثم رفل بأركانها الدافئة حَفَدة، فإن الحكم فيها للجدّ، ثم لوصاياه وسمعته وهيبته آثار تظل حيّة إذا مات، وتزداد القيمة المعمارية للمنزل مع التقادم، ولُربّ جمال فى عتيق، كما يزداد اسم العائلة إشعاعًا كلما نبغ جيل جديد يحافظ على منظومة الأخلاق والسجايا التى التزم بها الآباء، وما زال كل طائى كريما اليوم وقد مضى ألف عام ونصف ألف على حاتِم وعَدِىّ، إنما المنزل يتجدد طلاؤه، وتستملك له بالشفعة قطعة مجاورة تكون له حديقة تزيد بهاءه، ثم يتزين لاحقًا بعلم وفن وشعر يضيف كل ذلك إلى منظومة القيم العائلية.

* وبين الانتماء إلى مجتمع دعوى خاص... والوفاء للمجتمع العام.

فنحن رهط الأمل والإصلاح والاستدراك، فى سواد غافل يسدر فى اللهو والتحاسد والأثرة والتظالم، فما من عَجَب إذا ارتاد الداعية المصالح للدعوة وحكرها عليها وخصّها بماله وجهده، فإنها ستؤول من طريق غير مباشر لاحقًا إلى غير الدعاة، لكن رحمةً يعلمنا إياها الإيمان تجعل بذلنا يفيض ويسيح ليتناوله المجتمع العام كله، حتى الفاسق منهم، حتى الكافر، وهذه صنعة الخيريات الإغاثية أحييناها حين هجرها غيرنا، وكفى بها مثالا، وكفى

بنا ذائدين عن مصالح الأمة كلها ضد تطبيع وتخدير واستعمار وغزو فكرى وهجمة إفسادية ونظام عالمى، وتربيتنا توصى بكل ذلك، وتدرب عليه، وتطور أساليبه.

* وبين محدودية الاصطلاح التربوى .... وسعة تأثيرات الأعمال الدعوية كلها وتداخلها مع الجهد التربوى.

فكل حركات وسكنات المشاركة الدعوية لها مغزى تربوى ومردود أخلاقى وفكرى، وليست الإيحاءات القلبية والنفسية للممارسة السياسية بأقل إيجابًا من صعود مهذب فى مدارج السالكين، ولا تجديد إحياء علوم الدين بأكثر تثبيتًا لمعنى العزة من موقف نهى عن منكر الظالمين.

* وتوكيدًا، وتلقينًا للأشباه والنظائر التربوية، والفروق الموضوعية، والمقابلات، والمقارنات، ومنحى التكامل، والإرداف، والجمع، والتتميم، فإنى أعيد صياغة مجمل المعانى الآنفة، وأضيف لها ما يمنحها الاستيفاء، فأرفع عشر شعارات أخرى تمثل عشر حقائق تربوية وموازين وبدهيات، ولربما تغيب البديهية عن ذهن المنشغل باقتحام وتوغل، فيليق التذكير، ويحسُن أن نفهم:

* أن تربيتنا تنطلق من المسجد.... وتنتهى إلى برلمان ومصنع وشركة.

ذلك أننا ننوى إصلاح الحياة كلها ووضع أقدامنا فى ميادينها المختلفة، من معرفيات وسياسة وتجارة وصناعة، وإنما نبنى أساسنا عند المحراب، ونتدارس غيث الغياثى ورسالة الشافعى على حصير، لكن هناك نفير يومى إلى عرصات الحياة حيث يتكدس الناس فى سوق وجامعة ونقابة، نوقظ الشعور بالمسئولية فى الغافلين، ونشجع الخائفين، ونهيب بالمستضعف أن يقدم صخرة صغيرة أو طابوقة فقط، لا نكلفه أبعد من ذلك، ثم نحن فينا المهندس والبناء نبنى جدران قلعة الإسلام الجديدة، فواجبنا تخطيطى قيادى، ومهمة الناس الإسناد.

* وأن تربيتنا تحافظ على طريقة المشيخة والتلقين... لكنها تستخدم الإنترنت ومنهجية البحث.

فإن أنفاس الصالحين مباركة، وجلوس التلميذ باركًا بين يدى أستاذه عُرف إيمانى أصيل، يعلمه الأدب واحترام الكبير والحفاوة بقول السلف، وحين يتسرع غِرٌ فيزعم أن: نحن رجال

وهم رجال، فيخيط الشيخ فاه ويقول: بل رجولة العلم حين بلوغ الأشُدّ، حين الأربعين، والمرء قبل ذلك مسجل فى قائمة الجاهلين: يكون فى ذلك أبلغ درس لمائة ينظرون،وسيعرفون مقاديرهم، ولا يتقدمون بين يدى فقيه ومفسِّر، لكن دونهم سعة الإنترنت، والأرشيفات، وعلم الواقع، وخبر المؤمن والكافر، يزعمون ما يشاءون، وفق منهجية البحث الدقيق فوق الجامعى، وعبر المقارنة والافتراض والاستقراء ومنطق التعليل والتحليل والتركيب، وتوثيق النقل.

* وأن تربيتنا تنطلق من التنظير والرأى والفكر.... لكنها تمر بالممارسات والتجريب العملى.

فلسنا نتقدم جزافًا ولا ارتجالاً، بل نجمع من ذخيرة الفقه عبر القرون صورة فقه الدعوة، فى بيان الغاية والوسيلة، ثم نحرص على وصايا مؤرخ وعسكرى وسياسى واقتصادى وإدارى لتكتمل الخُطة ونصوغ نظرية العمل الإسلامى ونوضح مشروعنا الحضارى الشمولى، ونظل نعدّل ونضيف عبر تحليل مشروعنا واستنطاق تجاربنا فى امتدادها العالمى.

* وأن تربيتنا تستند إلى الذخيرة التراثية.... لكنها توسعها بالفكر المقارن وآراء الفلاسفة وتجارب الأمم.

فما بين صواب طبقة مالك وأبى حنيفة وتقعيدات طبقة ابن حجر والسيوطى: يكمن فقه عظيم فيه كفاية وغنى ووفاء، لكننا نبحث عن تحسينات أيضًا نزين بها فكرنا، قد يفوه بها فيلسوف أنطقته بقية فطرة، ونشرح العزة الإيمانية بأناشيد الحرية البليغة التى غنّتها الشعوب، ونقتبس من المنهجية الديمقراطية فى احترام الحقوق وكبت الاستبداد ما يتجمل به أداؤنا السياسى وتتأكد به أنماطنا الشوروية الإسلامية الأصيلة.

* وتنزل تربيتنا بالقلب إلى أوطأ الإخبات... لكنها ترتفع بالعقل إلى أوج الاتقاد.

فالموعظة تدع الروح تسكن وتطمئن بالتصديق، حتى ليكون إيمان الداعية مثل مسارعة جدّته العجوز الساذجة البسيطة إلى الاستسلام لقول الله تعالى وأمره وقدره وتأويل حكمته، وإلى عمق محبة النبى ﷺ وتمثيل غاية الاحترام والحياء منه فى سِرِّها، حتى ليحلق الداعية ساعة تسبح فيها خواطره مع هدى النبى ﷺ كأنه يتجول معه فى طرقات المدينة أو يقف فى

صفوف بدر يرقبه متجنبًا يدعو أو يدخل معه مكة يكسّر الأصنام ويهتف أن جاء الحق وزهق الباطل، ثم يفيق ليكتشف أنه جالس على حصير المسجد، لكن هذا التذلل لله تعالى أو الغرام بسيرة المصطفى ﷺ لا يمنعانه من التفاعل مع خطة مقاربة حوار العباقرة وتجميع لمعات العقل والولوج فى درب الإبداع، واللبث مع مثل ابن خلدون فى استنطاقه ظواهر التاريخ والحضارات، أو مع التوحيدى فى وصف خلجات النفس، أو الرازى وهو يكتشف محركات الحياة، أو مع المتنبى وأبى تمام والبحترى وهم يصفون سجايا الأحرار والروح إذا استبدت بها العزمات.

* ونبذل تربيتنا لجمهور واسع، تصديرًا للخير.... لكننا نستخلص الصفوة فى النهاية.

فإنّا لا ندرى أيّنا الموفق، وأى الرجال المهذّب، وفقه العمل الدعوى الذى نتبناه ينفى صواب التكاثر والتكديس والمفاخرة العددية، وإنما يركز على النوعية؛ لأن محور الأداء الدعوى هو أداء قيادى، نقود الأمة إلى تحقيق مصالحها، فنحن نصف لها واقعها، ونقترح الحلول لها، وندع السواد الكبير يوالينا وينفذ خطتنا، ومن أجل ذلك فإن عنصر الصفوة هو مبتغانا وهدفنا، الذى هو الذكى القوى الشخصية الشجاع القابل للتطوير؛ إذ مثل هذا هو المؤهل لأن يقود الناس، ولكن لأننا لا ندرى أين تكمن هذه الخصال الإيجابية وفيمن حلت فإننا نقبل العدد الواسع، ثم ننتقى، ونحفظ البقية للأعمال التنفيذية، ولا يمنع هذا الانتقاء من تقديم تربية للجمهور العريض عبر إعلامنا ومدارسنا ودور نشرنا، فى شكل كتب وصحف وأشرطة وقدوات ودورات وندوات، ومواقع إنترنت وقنوات تليفزيونية، وقد أسلفنا أن لجميع أنواع الأداء الدعوى أشياء من المردود التربوى.

* وتحافظ تربيتنا على الشمولية..... لكنها تتعمق فى التخصصية.

وذلك تقتضيه الحقيقة السابقة، فالمنهج العام جامع، والتوازن بين أشكال الأداء أصل، فلا تطغى سياسة على عبادة وأخلاق، ولا يسبّب تعليم الأحكام الشرعية غلق أبواب التوعية السياسية، ولا ندع رحمة تصاحب الإغاثة الخيرية تغلب مشاعر الجهاد والغلظة على كافر، بل الشمول ديدنٌ وهدف وأسلوب، لكن خير أجزاء الحق بالنسبة لكل داعية ما جارى رغبته وهواه الخاص وانفعل معه وهام غرامًا به، فللاجتهاد الشرعى رجال نحبسهم مع مدونات

الفقه، وللبحث السياسى وعاة نرصدهم لاستنطاق الأرشيفات، وللإعلام سبّاقون نبعثهم إلى الساحات الساخنة، وللتجارة نفوس عفيفة غنية نتيح لها حضور المعارض الدولية والأسواق، ثم للصناعة مهندس مبدع وممول هادئ الروح لا تستفزه المباغتات، وكلٌ فى فلكه يَسْبَحُ ويُسَبّح وتزداد خبرته ونخصّه بمنهج تطوير.

* أن تربيتنا تتيح للدعاة حرية الحركة والابتكار.... لكنها تربطهم بمحور الالتزام الخططى والأداء المنسَّق.

لأن تنمية المهارات وقابليات الإبداع باتت ركنًا فى التربية العامة يقتضيها التطور المدنى الحضارى، ولا يكون ذلك إلا بمنح المتربى حق المحاولة والتجريب والجرى مع ظنونه، وتوسعة الصدر أمام أخطائه، إذ الخطأ مدرج الصواب، وتكرار العمل ينقل العامل مرحلة نحو الإتقان، ولكن الخطط تحدد المجال، ألا يكون فى الابتعاد خطر المتاهة والفوضوية.

* وأن تربيتنا تعلم الطاعة والوفاء بالبيعة... لكنها تقدّم على ذلك التفهيم والإقناع.

فأصل التزامنا رضائى، والمؤمنون عند شروطهم، وإنما طريقتنا فى تحصيل الجهد من الباذل: أن نشرح له فقه الأعمال، والركن فى كل خطة والشرط والسبب، فيتوغل على بيّنة من الوعى، ولسنا نرضى من التابع التقليد والاستسلام وإلغاء شخصيته، إذ يوشك مثل هذا أن ينفَضّ سريعًا عند الشبهة والصدمة والظن وهاجس السوء وخبر التحريش، ولكن أصحاب الموازين والقواعد والاحتكام إلى الفقه هم الذين يترجمون معانى الجندية والقيادة معًا.

* وأن تربيتنا تعتمد التأسيس الهادئ.... لكنها تنتظر التأجيج الذى تتيحه روح التحدى.

فقد علمتنا التجربة أن نضبط العواطف؛ فلا نخرج إلى تهور وتعجّل، ولا نقفز ونتسور، بل نمشى وندخل من الأبواب، لأن الفطرة ستعمل عملها ولابد فى الوقت المناسب، فتتمرد النفوس على كل اعوجاج، بعدما يكسبها السير فى الصراط المستقيم وجهتها، فيكون الموقف الصلب الناهى نتيجة حتمية لتصاعد الإيمان والفقه والوعى لا نحتاج معه أمرًا وتحريكا وإهابة، ولربما نحتاج وصية يومئذ تعظ بالوسطية والحسنى، خوفًا من إفراط ومبالغة.

وهكذا، بهذه العشارية الثانية نكون قد أكدنا وشرحنا ما وصفتْ به العشارية الأولى مغزى تربيتنا الدعوية وحدودها ونمطها الجامع.

* **لكن هذا الشمول ينقلنا بالتالي إلى سؤال مهم نسأل به أنفسنا:** هل يلزم أن تكون لجنة التربية من العلم الشرعي؟

هذا لأني رأيت في بعض البلاد، وغير العربية بخاصة: إسناد المهمة إلى المشايخ، فلا يوجد فيها مهندس أو طبيب أو فيزياوي أو اقتصادي، وهذا إن كان يُستساغ في البدايات؛ لأن الفكر الدعوي مدون بالعربية والشيخ الشرعي أقدر على تعليمه، فإنه غير مسوَّغ في التوسط والنهايات، ليس فقط لأن شعاراتنا التربوية تحوي الكثير من جوانب المعرفة العصرية والأساليب المتطورة، بل أيضًا لئلا يحصل فصام بين النوعين من الدعاة، الذين درسوا العلوم الشرعية، والذين اختاروا العلوم التطبيقية، فينشأ هؤلاء على نوع من الاستقلال عن الشرعيين، وتكون مصادر وعيهم: علوم السياسة والإدارة والتخطيط فقط، ولربما تكون اقتباسات لا يشهد لها العلم الشرعي بالصحة، فيكون تعصب لمبالغ علمهم، فيحصل مثل الفصام النكد الذي تحدث عنه سيد قطب حين سيطرت الجاهلية فأقصت الاحتكام إلى العلم الشرعي في قضايا الحياة، وأخشى أن تحدث صورة مقاربة لذلك داخل الدعوة بين رجلين ونمطين واجتهادين وإن حسنت النوايا، وينشأ «إسلام عصري» متحرر من الضوابط الشرعية واعتماد العموميات ويجنح إلى تساهل وتمرير، والحل يكمن في الاحتياط، وجعل الداعية صاحب العلم المدني شريكًا في لجنة تربوية لصاحب العلم الشرعي، يسيران معًا، ويكمل أحدهما الآخر، فيراقب المهندس الشيخ ألا يكون رجعيًّا لا يتجانس مع حقائق العصر، ويراقب الشيخ الطبيب ألا يستعير الأفكار بتسرع من دون ضابط فقهي، ثم ينعكس ذلك على المجموع، فتكون وحدة الأجيال وأنواع الدعاة.

فمن تاب من فصل العنصرين يوشك أن يصيب منهجية التربية الدعوية، ومن غفل عن سعة معنى التربية، وقصرها على مواعظ: سقط في هوّة الفصام لاحقا، وهذا معنى لا يُنال شرحه إلا مشافهة، ومن افتقد التجريب: تاه في الافتراض والظن، حتى تكويه فتنة وينبغ قول جزاف يصدمه.

لمعت ومضاتُ... فكثّفتها

* **الخطة الفرعية السادسة:** تجويد التربية التطويرية.

فقد أسلفنا أن التربية الشمولية نقدمها لجمهرة عريضة من أجل أن نكتشف العناصر المتميزة التى يمكن أن تقود مائة نوع من العمل الدعوى، بل أستطيع أن أزعم أن مقياس النجاح التربوى يكمن فى مقدار النجاح فى تربية هذه الصفوة المختارة ذات النباهة، فلابد إذن أن نتقن التربية التطويرية، وأن نضع لها منهجية رديفة للمنهج الشمولى العام، منها:

محاضرات خاصة، ومطالعة كتب، ورؤية فيديو وأفلام سينمائية ممثلة وتسجيلية، وزيارة ساحات ساخنة، ولقاء بعلماء شرعيين، وحوار مع مفكرين، ومع أناس مشاهير من رجال الأعمال ومدراء الشركات والمصارف، والصحفيين، والسفراء، وأساتذة الجامعات، مع تدوين الداعية لتقرير ميدانى، وبحث موضوعى، فى أشياء أخرى شرحتها رسالة «معًا نتطور» ولست أحب التكرار.

والدليل على حاجتنا إلى التطوير: أن الشكوى دائمة، وأكثر القادة يلخصون الأزمة بكثرة الأعمال واللجان والمؤسسات والمنابر الدعوية، وقلة الرجال الذين يصلحون لها.

وتقول تجربتى الشخصية: إن التطوير يبدأ من حرص تبديه اللجنة التربوية على اكتشاف العناصر الواعدة اكتشافًا مبكرًا، ورعايتها إذ هى فى ظلال المنهج العام قبل تخرجها منه، بزيارة ومكالمة هاتفية ورسالة تشجيع، ومحاولة نقلهم إلى العاصمة ربما إذا كان أحدهم نائيا، وتيسير دراسته الجامعية، وهذا جزء من فقه تكليف اللجان التربوية بالتفتيش والمرور الأسرى.

المسح الأسبوعى للنقد الموضوعى

* **الخطة الفرعية السابعة:** الاستدراك على ضعف بعض النقباء وبعض جوانب المنهج.

فإن الجماعة أسيرة القَدَر، والمثل يقول «الجُود من الموجود»، ويتم تكليف الأمثل إذا افتقدنا مستجمع الشروط، كما أن المنهج قد يتأخر أحيانًا عن مواكبة التطورات وتلبية الحاجات، لطول عملية أى تغيير فيه ومرورها باجتماعات كثيرة ومباحثات قيادية، وبذلك يكون الاستدراك على هاتين الظاهرتين واجبًا.

وقد تتعدد الاقتراحات الاستدراكية، فتكون الوصية بتعميم طريقة الدروس الشرعية الجادة فى المساجد على يد العلماء المكافئين، أو إظهار زعماء قدوات يرفعون درجة الولاء فى نفوس الأتباع ويثيرون العواطف، وكل ذلك صواب، ولكن العمل الاستدراكى الأقوى أثرًا فيما أرى يكون فى إصدار «مجلة الخُلاصات» فى كل بلد، تلخص المقالات المهمة المتميزة فى الصحف الإسلامية وغيرها، والتحليلات المثيرة التى تبثها قناة «الجزيرة» وأمثالها، وخبرًا يتهامس به الناس غير منشور، وما فى بعض الكتب الجديدة، وتصدر أسبوعيًّا، إذ ليس كل نقيب أو داعية يُتاح له حيازة هذه الصحف أو يجد وقتًا طويلاً لقراءتها أو مشاهدة القنوات التلفزيونية، والدليل على أهمية هذا العمل: النجاح الكبير الذى حققته «رسالة الإخوان»، لكن هذه الرسالة غير كافية؛ لأنها مصاغة مجمعة لتلبية الحاجة فى أدنى صورها إلى العالم كله، بينما الخلاصة القطرية تراعى حاجة القطر، ويمكنها التنويع والإطناب، ثم تكون نفس المجلة على موقع خاص فى الإنترنت، فيتاح اطلاع أهل الأقطار الأخرى عليها إن رغبوا، من قيادى ومتخصص وبرلمانى ومفكر، فيزيد انعكاسها المفيد ويكون تبادل الرصد بين الأقطار عبر ذلك.

وأظن أن صدور هذه المجلات المستخلصة التى يمكن أن تعيد نشر بعض التقارير والدراسات أيضًا يكون ضروريًّا فى أربعة أنواع من البلاد إن لم يكن على الامتداد العالمى:

* البلاد غير العربية، لأن سعة الإنتاج الإعلامى والفكرى فى البلاد العربية أوسع مما هو عليه فى بقية العالم الإسلامى، فوجب توحيد مستوى التلقى بين دعاة العالم بترجمة النتاج العربى إلى لغات كثيرة، كل بلد يتولى ما فيه مصلحته.

* البلاد الفقيرة التى لا يستطيع أهلها شراء الكتب والصحف وحيازة الكمبيوتر إلا قليلا، فوجب تعميم النفع بالمختصر المنتقى.

* البلاد المحكومة بقبضة حديدية وتخضع لرقابة قوية، فإن التعتيم الإعلامى فيها يعزل أهلها عن الأنباء الحقيقية والتحليلات.

* البلاد التى وصلت الدعوة فيها إلى مرحلة خططية متقدمة فاتسعت فيها أعداد المستقلين المتعاونين مع الدعوة من غير التزام، مثل سياسى ورجل أعمال وشيخ قبيلة، وكذا

أنواع الحلفاء من التجمعات الإسلامية الصغيرة أو الأحزاب السياسية الصغيرة، فهؤلاء كلهم ليس لهم شوق لتتبع مصادر الأخبار والتحليل مثلنا، ولا لهم وعى يعينهم على تمييز القول، فوجب أن نقوم بتربيتهم وتقريبهم وتوحيد نظراتهم عن طريق مجلة الخلاصة هذه.

وهل بعد هذه الأنواع من البلاد من بلد؟

هذا يعنى أن مجلة الخلاصات ينبغى أن تكون حقيقة فى عالم الواقع فى كل قطر فورًا، وأن تسند مهمتها إلى لجنة خاصة برئاسة داعية من أصحاب الوعى السياسى مقتدر على الكتابة والتحرير والنقد والتمييز.

اللسان الدعوى الواحد

* **الخطة الفرعية الثامنة:** تدبير التنسيق الموضوعى بين كلام الوعاظ وخطباء الجمعة والإعلاميين وأساتذة الجامعات ومدرسى المدارس، بحيث ينسجم مع قضايا الساعة، ويكون كلامهم صادرًا من منطلقات واحدة فى التوصيف والتحليل، وبذلك تحدث الظاهرة «الليزرية» فى تركيز الضوء وإكسابه قوة الاختراق والنفاذ والتأثير القوى، ويتنقل السامع يومه وليلته بين مصادر الإيحاء هذه فتزداد قناعاته، وتتصاعد حماسته، ويتعاظم ولاؤه للدعوة، وينطق بدوره، ينقل الرأى لجار وجليس وصديق وشقيق، وهذه هى إحدى أهم الوسائل التربوية القَبْلية والبَعدية معًا، ولجنة التربية هى مفصل التنسيق الأهم فى ذلك، وتتعاون مع لجان أخرى، وهذه الطريقة هى من عطاء العمل الدعوى، وتعجز عن أمثالها أعمال المستقلين، ويتأدى بها استدراك عظيم على أى ضعف فى منهجية التربية، ويزداد أثرها بخاصة فى الحالات التى يجرى فيها تعتيم إعلامى متعمد يحجب الحقائق عن جمهور المسلمين، ووحدة كلام المتكلمين تقذف تلقائيًّا فى قلوب السامعين معنى لازمًا يحس بعين الإكبار والإعجاب لدعوة ناجحة تقف خلفهم وتلقنهم وتوحد أفكارهم، وهذا الأسر المعنوى هو بلا شك أحد التمهيدات القوية لبدء المرء تأسيس علاقة مع الدعاة.

ننفض عن ضيفنا غبار وعثاء الضياع

* **الخطة الفرعية التاسعة:** معالجة آثار العيوب الاجتماعية فى الداعية، بالوعظ والحوار والتفهيم، وبقدوات يضربون المثل الصحيح.

فالمنهج العالمى حدٌّ أدنى وقاسم مشترك، وكذا أمثاله من الكتب التربوية التى يصدرها

مؤلفوها يتتبعون فى الأغلب المواعظ العامة التى تصلح فى كل مجتمع، ولكل جيل، ولكل فرد، ولكن تبدى تجاربنا ومعرفتنا الواقعية أن الواقعية أن كل بلد تشيع فيه سلبيات وعيوب بين الناس ربما تختلف عن البلاد الأخرى، ومنشأ ذلك أسباب كثيرة يكشفها تاريخ البلد، ولذلك يلزم أن تضاف إلى المنهج لمسات نسبية تختلف باختلاف البلاد، فيها معالجة لتلك السلبيات؛ لأن الداعية المنتمى لنا ربما يظل دهرًا بعد انتمائه رازحًا تحت تأثيرها، لأنه ربيب المجتمع العام.

* **انظر مثلا:** لا أبالية الناس بما يجرى للبلد والأمة من كيد استعمارى وظُلم عالمى، أو نشر فساد، ويكاد هذا المرض أن يكون عامًّا فى معظم البلاد، فكلٌ يقول: نفسى نفسى، والقليل من يتصدى للإصلاح والمقاومة والرفض والتضحية ببعض جهده وماله من أجل الصالح العام، ومفتاح علاج ذلك: ترك الفرد يشعر بالمسئولية العامة وأنه جزء فى تكوينها وتفعيل الأعمال الوقائية، وكذلك إنقاذ الفرد من حالة الإحباط واعتقاد فوات أوان العلاج والاستدراك، ويكون غرس مثل هذين المعنيين فى النفوس بالبحوث والكلام المنطقى، وبأدب وشعر يعززهما، والنجاح فى هذا المسعى التربوى يفتح الباب لانضمام مئات ألوف إلى الدعوة كأعضاء وأنصار، يحبسهم اليوم إحباط أو حرص شخصانى.

* **وقريب من هذا:** الخوف، ورهبة استولت على النفوس من متاعب تسببها المطالبة بالحقوق، بينما تكمن حماية مؤكدة فى سعة عدد المطالبين وتكتلهم، لو كانوا يعلمون؛ إذ يعجز الظالم عن مقاومة تيار عريض سائد، ففى الكثرة حماية، وهى أنفذ وسائل الدفاع، بينما استطاع الظالم أن يظلم فى أماكن عديدة لأنه انفرد بقلة لا يظاهرها سواد كثير، وهذا المنطق أصل، ولكن ترويج أغانى ديوان الحماسة لأبى تمام جزء من العلاج أيضًا، وتأليف شعراء الدعوة لعشرة دواوين مثله خطوة أخرى فى العلاج، وعشرة دواوين أخرى فى «الحرية» وعشقها، ومازالت أوتار العاطفة أنفذ سلاح، وتدوين أخبار البذل وقصص الشهداء تستأصل كل هاجس، ولما قرأت بنتى مدونة شهداء الحماسة فى فلسطين استأذنتنى فورًا بالتطوع، فأفهمتها أن فى الرجال كفاية.

* **وانظر مثلاً:** آثار هجمة المال والترف فى البلاد النفطية، مثل الخليج والسعودية، فقد

صرفت جيلاً واسعًا إلى اللهو والاهتمامات المرجوحة، والكلام الأخلاقى الوعظى كثير، ولكن يبدو أن بروز القدوات المحليين بأعداد كبيرة فيه علاج أجدى، وبخاصة: إسناد ذلك بمؤسسات شبابية تتيح اللهو المباح النافع والمغامرات البريّة والبحرية وصعود الجبال وقطع الصحراء وركوب الخيل والجمال، وكل ذلك من التربية القبلية التى لو بذلنا فيها الجهود فإنها لا تضيع، وإنما نجنيها لاحقًا، لأنها تؤدى إلى وجود جيل جدى منفتح النفس قوى الشخصية، وانفتاح النفس هو الشرط الضرورى لإبصار الحق وإدراكه وتمييزه، ولذلك فإن هذا اللهو المباح هو جزء من منهجية التربية الدعوية عند التحليل المتأنى، وإن لم يدركه وينتبه له أكثر الدعاة الذين ما زالوا فى أساليبهم المشيخية الرجعية يسدرون.

* ومن العيوب المحلية: تأثر المسلمين فى الفلبين بالأعراف النصرانية التى فيها تساهل أخلاقى بصورة خاصة، وانطلاء دعاية تمازج الثقافات المختلفة فى ماليزيا على كثير من المسلمين، إذ نصف الشعب هناك بوذى وهندوسى، فروَّجتْ التربية الحكومية العلمانية لمعنى امتزاج الثقافات من أجل تحقيق وحدة وطنية بزعمها، فأصبح المسلم غير نافر من ثقافة غازية جلبها الاستعمار لتنافسه فى عقر داره، وأصبح الماليزى المسلم هيّنًا ليّنًا يبالغ فى الهدوء، فى حين تنحت الناحتات من استقلاله المعنوى الثقافى.

الداعية مُعلّم، ثُمّ مجاهد... وذلك عنوان استيفاء المراتب

* الخطة الفرعية العاشرة: الوصول بالداعية إلى مساهمة عملية فعلية فى وضع لبنة فى البناء الحضارى الإسلامى.

وهذا البناء الحضارى قد يمنعه عدو، فيكون الجهاد عندئذ هو الطريق الوحيد اللائق، دفاعًا عن الحق فى البناء.

وجوهر هذه التربية: نقل الداعية من أن يكون مجرد مستهلك إلى أن يكون منتجًا، وتحويله من النظرية إلى التطبيق العملى، ومن التعميم إلى التخصيص، بأن يتعهد بوضع لبنة فى الصرح، ولا يكفى أن يكون محلقًا مع العواطف العالية من دون أن يتميز بنوع إضافة، ونحمله على أن لا يغادر الحياة الدنيا هذه إلا من بعد أن يقدم شيئًا محسوسًا يبقى بعده، من كتاب فيه علم، أو تجارة فيها حفظ مال، أومصنع يقرّب الأمة خطوة نحو التمكين ويوحى

بجهاد، أو أبيات من شعر تسير، أو مؤسسة تخدم غرضا، أو اختراع فيه إبداع، أو لوحة رمزية تجريدية تثير الخبء، **وأقل ذلك:** المشاركة فى بناء مسجد أو تأسيس صندوق خير، **ونقبل من صاحب العذر:** الترميم والإحياء والصيانة لإنجاز من سلف، ومصدر الوعظ فى كل ذلك: **سؤال الإمام البنا المثير:** هل نحن قومٌ عمليون؟

وكل منهجيتنا التربوية كان الفقهاء يسمونها: «جهاد النفس».

وقد شرحوا أوصافها وبيّنوا مراتبها.

قال ابن حجر:

«وجهاد النفس أربع مراتب:

* حملها على تعلم أمور الدين.
* ثم حملها على العمل بذلك.
* ثم حملها على تعليم من لا يعلم.
* ثم الدعاء إلى توحيد الله وقتال من خالف دينه وجحد نعمته»[1].

وهذه فى الحقيقة هى المراحل التربوية التى تصفها الخُطة التربوية الدعوية، فإنها تبدأ بمرحلة التعليم التلقينى القاعد المستكن. ثم تليها مرحلة من التعبّد الكثيف وترويض النفس وتحمل الشدائد. ثم يُدفع الداعية نحو المخالطة الاجتماعية؛ للتبشير والتعليم وانتقاء الأنصار الجدد وتربيتهم. ثم يتم تنسيبه إلى مجمع التطوير الحضارى وإمداده بالوعى السياسى والفن الإدارى والإحساس الجمالى والمنطلق البليغ والفكر الأصولى التقعيدى النقدى، ليجاهد فى أحد ميادين الإعلام أو العمل المؤسسى أو النشاط الاقتصادى، وليحوّل هدمًا تسبّبه ألحان هزّات الأوتار إلى بناء إنتاجى وجهاد اقتصادى يحول دون سريان خطط التطبيع، ثم من بعد ذلك إن احتاج إلى قعقعة حديد: روينا له إفتاء ابن حجر السديد.

ولن يصل الداعية إلى المرتبة الرابعة ما لم يكن فى الأولى جادًّا مشمّرا، كما قال أبو على الدقاق فيما نقله ابن حجر بعد قوله الآنف:

---

(1) فتح البارى 12/ 122 طبعة الحلبى.

«مَن لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة: لم يجد من هذه الطريق شَمّة».

فأول خطوة...

نفضةٌ لها قوة...

ورَبْتَةٌ وضَمّة...

وضغطةٌ وحصرة...

وإلا لم يفهم منهجَ التربية الدعوية...

ولم يجد طيبَ ريح التزكية...

ولا شمّة...

* * *